



BOBST LIBRARY



3 1142 01254 1721

STROBE

DATE DUE



Sāyigh, Tawfiq

ثلاثون قصيدة • نوفيق صايغ

/Thalāthūn qaṣīdah/

دار الشرق الجديد

PJ

7862

A88

T3

1954

C. 1

*Halls by me that Footfall :
Is my gloom, after all,
Shade of His hand, outstretched carressingly ?
« Ah, fondest, blindest, weakest,
I am He whom thou seekest !
Thou dravest love from thee, who dravest Me. »*

— FRANCIS THOMPSON.
« *The Hound of Heaven* »

في الأوراق التالية سيأخذ عليّ ناقدني الكثير .
لكنّ المأخذ الأبرز سيظلّ عنهم خلف حجاب :
أني تصاعدتُ من بجيرتك غيمةً ، هطلتُ على
الأودية ، وفوقك انشحتُ بالبياض ، وأني ،
بين « بليّ » كنتها منذ بطش الضوء بالعمّة
الحنون ، و « بليّ » ستكونينها حين
تعيدنا معاً عمّة أحنّ ، طوال عهد
الضياء الضربير ، كنتُ « لا » .

بقلم سعيد عقل

تتشوّف الحياة ابدأ الى الحلم .
ولكالتناج النامي هي . 'تعاش' نثرية فكأنها لم تكن .
ووحده يمرّ في الأرض مرآً مليئاً من كانت حياته قصيدة .
والذي بين يديك اليوم حلم ، محض 'حلم' ، لشدة ما هو
حياة .

•
رأى نفسه طريّ عود ، يافعاً ، « تدعوه ذراع » . ما من
جسد هذه الذراع . انها من حسن خالص . وهي الضائعة في
حضورها الكثيف . صاحبته تسكن الوفر : فيا للجب
بطعم الحجر .

ولكنه لا يلبث ان يلتقي الحبيبة التي من لحم ودم . فيعرف
النار في الاعراق . نار لا تطاق لكثرة ما ترهق . فيتذكر انه ،

قباسها ، كان شفاف الوجود . « ما كان احلافي » ، يقول ،
« بعيداً عن الكون » . ويخاف على الحبيبة الزوال . أمّا هي ،
لبراعتها ، « بعمر القصيدة » ؟

ثمّ يخيل اليه انه بوسائل غير ذات حقّ بلغ مبلغه الحارّ .
انه لبالشقاء بسعد . ان زلزلة تهدر في كيانه . أكثر من انخساف
أرض فيها ، وأكثر من دمار وجود . فيها الذي لا قبل
للحواس بتحمّله . « أفقاً عيني » ، يهتف ، « كي لا أشهد قبجاً ؟ » ،
سوى ان الحياة رحيمة . أمّا فيها الفتوة الضاحكة ، والربيع ،
وميزغان الصبح ؟ ها هو والحبيبة طفلان . « يظفران فوق الجبال »
مسرلين بالقوة ، « لا يخشيان أسداً وسط ادغال » . أو يعبان
من الينبوع ؟ لا ، لا . وقد « كان في حبهما نقص » . ولكن
لأن في حبهما نقصاً ، ولأنهما بلا أرجل يسعيان ، يرتبان في
الحوض . يرتبان وبرتوبان ، وقد « انزاح الستار الأخير » .

وكأنما لكل ثمرة محرّمة قصاص ، هنا ، كذلك ، هنا على
الأرض : فالحبيبة تخون . تخون حبيبها مع صديقه . فيسا الرماد
'بطعمه حاراً' . ويحس انه - وهو في مكانه - يرحل .

تراه في جحيم ؟ لا ، وها هو ينقأ بشراً فوق البشر .
يعرف الألم حتى النهاية . أمثبه بذاك الاله هو : مثله له بستان

زيتون . فيهتف بما به لم يهتف احد . يتجرأ على الله . « أنا
أصقّد ؟ » ، يصرخ في وجهه ، أصقّد لولادتي في عالم أنت عينته
لي ؟ حيرتني ، حيرتني لهي !

ويكاد بالحجارة يرشق مطلّات السماء ، لو لم تشفع به كلمة
تقيم من موت : ربّ ، انت المحبّ .

وانه لقابض على خشبة ، على شفا الوجود والزوال ، يدير
عينيه الى ذاته . فيرى نفسه « عاقراً بين اطفال اختها » ، تكاد
تختمش وجودها تخميشاً . ولكنها - لما يغمر كيانها من حنان
على من ليسوا لها - تحسّ ذاتها أغنى من أمّ . وفي غدها ، لانها
بانت « تعرف من اسرار الخلق ما لا تعرف الامهات » ، سيطرّوقها
الفجر أبهى من عروس .

انه الآن لمدّثر في ذاته كلّ شيء . كلّ شيء الا المعطى .
هو صاحب القصيدة إذن . يُبدع ليُبدع . « ما قادي اليك
هوى » ، يقول ، « بل قادي اليك هواي لي » . وأنا هنا « لا
لناخذي ولكن لأهب » .

ها هو في صحبة سَعْتِه جاءت من عبر الأوقيانوسات .
صديق يدعوه الى مادبة لأفلاطون . « أطايب الملك » عليها
وفاخر المشرب . ولكنه وسط الحوران الشهوي لا يجدا ما يمدّ اليه

يداً . وتظلّ لا تُطيلُ تلكَ المنتظرة منذ الدهور .

ويُضيع نفسه . ولكن لأنه يعرف كيف يُضيّعها ، يجدها
عنيفةً الوجود . يهتف . يرفع صوته بالفرح . يزلزل الآونة التي
يسكن ، يتملأها من مسرّة . ولكن لأن الحياة صعبة كأحجية ،
يبقى عليه ان يعرف تجربة دانيال .

هو الآن في قلب الحياة الضاجة ، البارة باهلها ، اللاسعة
بالريح والدوح المقتلّع والمحق ، منذ قوله للبحر : « ازبد
وطرطش » ، الى تحمّل « البارمان الاعور » يركله برجله ، الى
التطهر بالنار ، والتفتيش عن « رأس أصلع » يخطّ عليه قلبه .

ويعطى ، بعد العاصفة ، لذّة الاستمتاع بالطبيعة . طمأنينة
تجعله يحب البحر ، ملعب حنان وبناء ، والرمل « زوجة شمس » .
وفي ظلّ قلامه من سعادة كادت تُذهله عن الحياة ، تلتمع له -
سريعة الخطى ، فاغرة الشدق - أوجع خطايا العارف . تلتمع له
خطيئة الضجر . « ثم ماذا ؟ » يصرخ . ويكرّرها تقصم من
ظهر : « ثم ماذا ؟ » « ثم ماذا ؟ »

انه الآن فاوست آحر . يستعين بالسحر . يتطلب كسر
القمقم الذي فيه سُجين .

وانه اشْبَح . الدنيا حوله صقر من اشياء الحسن ، خلوت من

« ارتعاش قدّ » . فيهرب من الوجود . ولكن الى اين ؟ الى الوجود الأثيل .

ويقوده مفيسـتو ، في ذلك التطواف المرهق ، الى الحواضر ، « حيث الملايين أركان افقاص » . الا انه حتى متى راحت تبدو له بارقة أمل ، يظلّ يلوح له بصكّ الدم . ويبقى لزاماً عليه - لكبرياء لم تفارقه - ان يستبق (الروح النافي) الى تطلّب العتمة المريجة الاخيرة .

ويكون له « طريق دمشق » . هاتفٌ يقول له : « بدلت لك الطين » آخر ، « تمتع بالجمال » . ويصيح الى « موعظة جبل » . وانها لمن الجدة عليه تلك القديمة كالقدم بحيث بتخيّلها لم تسمع قبل ، وان صاحبها اليه وحده يُسير .

ويعاوده الشقاء . ماذا ؟ تراه بات عريق عهد بالشقاء ! قلبٌ لا يقرّ . بناءً ناريّ يُبنى من حجر . فاجرٌ يجدّد خطيئة (حامي النور) . ماذا ؟ أين بعد الرؤية ، الرؤية العظمى ، يجرؤ ان يتطلّب ؟ وما يتطلّب ؟ وكلّ ما يُعطاه - بعد الذي أعطيه - فراغ ! ومع هذا يريد . يريد ولو الشكل . عدّه ، باعرقوب ، عدّه لا ليغتم بل ليكون في الوجود وعد جديد .

وتحين منه التفاتة الى بلاده . تلك التي « رأست المنتدى » .

فاذا هي قد انتهت ، حتى لتقوّد لبناتها ! وعلى مقربة من ضريح
القيم ، يستشرف كلّ الحضارة . انها لزنجي بسوقه بسوط . ذراعان
مدودتان من عجز . أصابع لبعض من بشر . فمّ « مزج الغناء
بالصلاة » .

ومرّة اخرى يجد نفسه يجالد . (تراه كفّ يوما عن الجلاد؟)
ويعرف الفرح . فضيلة بنت المحبة . بنت (التي هي العظمى) .
ما أجملها أغنية تنطلق من فيه كأنها ملء الوجود . وتوفريد
البث بين أوتار الخفّة الغنيّة .. « قدمي نطنطا » .. « وان
شنتنا فحطّا على اراراس » .. « قدمي أقلعا » .. « وأنا سأنظط » .
واذا يعاوده صخب الحياة ، ولجّهل الناس له ، يحكمون عليه
بالابعاد ، فيسبقهم - وقد أصبح في الخارج - يسبقهم الى الحكم
عليهم .

وانه ، آخر المطاف ، لفي حضرة المرأة . (أهي الحياة الحرّة؟)
انه ليستغفرها على خيانتها لها . فلا يجد اجمل من تذكيرها بانه قد
سبق له ان نُحِتَ نُحْتًا معجزا ، هذا الذي راح طول حياته يحطّم
العدم الذي فيه .

حلمُ توفيق صايغ ! انتهى حلم توفيق صايغ
أعرفُ ايها القاريء انك تودّ لو لا ينتهي .

ولكن الى ابي قول تويده بعد؟! الحياة كلها أفرغها هذا
الفتى الذي عاش نيساناه و كأنها دهور. أكاد أحسن التاريخ جميعا ،
منذ بابل ، يتفكّرت عنده من سجن الكلمة .

ان كتابه لا ليقرأ . انه ليغدو خلجات فيك ، ودمماً دافقا ،
ونارا . انه مزيج من شبق ولاهوت ، من كشف علمي وخطبة
وبرارة ملائكية أولى .
ولكننا لم نأخذ على هذا الخاطيء الكبير ، ولا مرة ، أنه
كف . انه توقفت .

لكم هو ابن للحياة هذا الذي لم يتعب من قرع باب الحياة .
قد تدسه ، قد تطحنه . فيبقى منه ولو رماد . رماد يعاود
الكرة : يقرع باب الحياة من جديد .

انه كل شيء . سوى اللاشيء . ، هذا الذي جاء آخر الزمن ، في
عصر يتنفّس العدم تنفّسا : في الفلسفة والشعر وفي الفن جميعا .
أي ثورة على الشيطان ، على (لروح النافي) ، هذا الذي يظنّ
يفكّك ذرات النفي حتى يهتدي الى سرّ تحويلها . تحويلها الى
معدن الوجود .

انه حتى في بغضه - وهل يمكن مثله أن يُبغِضَ؟ - انما هو
حبٌ يُخَصِّبُ الشتاءَ وهولَ العاصفة. يُخَصِّبُهَا بِأَلْفِ زَهْرَةٍ - أَمْنِيَّةٍ .
لا . لم يسلسل حياته . لقد اقتحمها اقتحاماً . ومن هنا انه
آثَرَهَا عَنِيْفَةً لا جَمِيْلَةً . أوَّلَ مَرَّةٍ يَقْصِدُ فَنَانِ مَشْرِقِي - عَاهِدًا -
مُحِبَّةً غَيْرَ مُؤْتَلِفَةَ النور . ولكنه ، لوفرة ما يملؤها ويُعْمِلُ فِيهَا
قُوَّتَهُ الصَّنَاعِ اليَدِيْنَ ، يرفعها الى مستوى الجمال .

هنا اللفظةُ لا لِنَقولَ ، حتى ولا لِتَكُوْكب . انما لِتُعْديكَ
بالوجود . وهكذا تَلَاغِبُهُ الفَتِي جَمِيعًا . من تَطالَبِ المَفاجِأَةِ ،
وانفجار كلمتين مستقطبتين - وزلايئة ضوء احبانا - واقحام
لغة حياة في لسان قدامى ، الى درس اصول من ضمن اصول ، حتى
لأنتَ أمامَ كُلِّ شَيْءٍ خلا الجبن .

أجرأ الاقلام المشرقية هذا الفتى المضطرب ، المحرور العينين .
انه يقوم بعمل عجب : من عَجْمِ الفكر ، ومن إلباسه ثوباً فريداً
قد يكون لا يزال في خاطر الجرأة من باريس ، ولكنه في عرافة
ذوقها الأخاذ . انه يكاد يُعيد النظر في ماهية العطر ، وكيف
يُقصدُ لا يَنْتظر موعده ، ويُعيد النظر كذلك في اصول قص
الشفق وكَدْسِهِ وِردَةٍ تشتمل في الحاطر .

ثلاثون قصيدة • نوبتق صايغ

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Handwritten text in the upper section, separated by a horizontal line.

Handwritten text in the middle section, separated by a horizontal line.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

Handwritten text in the lower middle section.

أَنَاكَ ، لا تُبَلِّلْ جِراحِي
 وَاَبْعِدِ الْخَلَّ عَنِّي :
 سِياطُ جِلاَدِيكَ كَفَتْنِي ؛
 مُحِبِّي مُعَذِّبِي ، أَلَا تَكْفِيكَ ؟

فِي سُرَايَ ، صِيداً لِلذَّائِثِ الْاِنْتِظَارِ ،
 عَثَرْتُ مُخْطَايَ
 مِشِيَّتِي بِقَدَمِيْنِ وَقَدَمِي .
 وَبَيْنَ صَدِّ قَدَمِيْ مَبْعُوْثِكَ لِي

وركلِ قَدَمِيْ لَهُ

خَبَا وَهَجُ اللَّذَاذَاتِ .

وَفِي لِحْظَاتِ الْخَلْوَةِ

أَطْلَّ عَلَيْنَا رَقِيبٌ لَيْسَ فِيهِ شَذُوذٌ؛

فِي لِحْظَاتِ الذَّرَى رَأَيْتُ الْهَآوِيَةَ ،

وَمَعَ نَشِيقِ الْعَطُورِ تَنَشَّقْتُ الْخَنُوطَ .

وَفِي الرَّجُوعِ أَحْضَرْتُ

هَارِبًا مِنْ ذَاتِ تُلَاحِظُنِي ،

سُوطٌ فِي قَفَا هَذَا

وَسُوطٌ أَمْرٌ فِي قَفَا ذَلِكَ .

عَكَّرْتُ أَحْلَامِي

وَأَفْسَدْتُ عَلَيَّ لَدُنِّي

وَأَعْضَتْنِي قَلْقًا وَنَدَامَةً

وَحَاسَةً الْإِثْمِ .

أفلا يكفيكَ هذا ،

الهي ، ألا يكفيك ؟

معاقبَ العاصي ،

جعلتَ معصيتي عقاباً :

أفأنا لُ عقابين ، أيها العادل ،

لدونِ ما معصية ؟

قاضي ، لا تُصيخُ سمعكَ نني ،

واعذرِ احتبائيَ الروبَ

وزحزحةَ القيدِ عن معصبي :

فان كنتُ المذنبَ والمحامي

أفلسْتَ قاضيَّ والغريمَ ؟
(واغفرُ الهَي ما أقول) .

أنتَ الذي حكمتَ عليَّ بالنفيِ
وعيّنتَ في المنفىِ منازلِي ؛
وصممتَ جيبِي
وفررتَنِي في اللامكانِ
أقتسِرُ عن كَفَّارَةٍ
تحملُ لي صكَّ الفداءِ
واحملُ لها التَغَنِّي
بصوتِ لم يُدندنْ منذُ أيامِ الوطنِ .
أعطيتَنِي مفتاحاً
أدرُتهُ في القفلِ

فرحبت من الداخل كفسارة عقب كفارة
حتى اذا ما اطلت علي
وتوسمت الخلاص ،
رأت جيبني الذي وصمت
والتبط الباب في وجهي
وتدحرج المفتاح على العتبة .
أنا الملووم

اذا استدار القفل ولم يتدحرج المفتاح
الآ في منزل على جيب ربيته
وصمة كوصمتي ؟
أنا الملووم
إن أنت نفيتني
وأنت وصمتني
وقلت : « فقتش عن الفداء » ،

ومنعتَ عَنِّي الفداء؟

أنا أَصْفَدُّ

لدخولي منزلاً

أنتَ عَيَّنْتَهُ لِي

ومفتاحكَ أدخِلْتِي فِيهِ؟

أنا نَأْتِيكَ يَا وَاصِمِي :

رَضِيتُ الوَصِيمَةَ

وكفارةً وَسَمِعْتُ وَصِمْتِي ،

أفلا يَكْفِيكَ هَذَا ،

إِلَهِي ، أَلَا يَكْفِيكَ؟

لنْ أَقُولَ بَعْدُ . لنْ أَقُولَ .

دَعَاوِيَّ أَحْكَمْتُهَا بِمَنْطِقِي

شحذتُ حدها كباثر :
لم يُجرح غير أصابعي .
اقتنعتُ بصحتها
ولكنها لم تقلل من ندامتي .
أعرفُ أنني غير ملوم
وأعرفُ أنني أقرُّ ، إذ أدفعُ ردعك ،
أنني ملوم .

نصبتُ ذاتي المذنبَ والمحامي
وأراك خلعتَ عليّ رداك ، قاضي ،
وقلبتني الخصمَ الذي ظننتهُ فيك .
أنتَ وصمتني ،
لكنك وصمتني أنا ؛
وتعيينك منفاي لي
لرضاك عليّ .

وفي حجبِكَ الكفارةَ عني
وقولِكَ : « اسعَ الى كفارتك »
حيرتني الهي .
حيرتي تشفع لي .

أيها العادلُ ، أنتَ الراحمُ .
مُبْعَدِي واصمِي معذبي ،
أنتَ المُحَيِّرِي ،
أنتَ المُحِبَّ .

قدماي نطنطا :

للبار يومه

وللدودة لا يخذش الصخر طراوتها!

يومكمنا أمر

ساعاته دنان

(لو تعي الشفاه) .

قدما تسابقتما

الى حيث اقلبتما اذنين

أطربهما لقاء الأُكفّ ؛

وكدتُها تنعمَّران

اذ توحَّدتُها وضيعةً تجبَّر

فسطارعةً وارتمى ؛

وتشحطتُها

الى تلةِ المساكين والمنسحقى القلوب

ورفتُها الطوبى .

قدمي ، نطنيطا :

جرجرةٌ بعدُ ، أوقمزة ،

ويطلقُ عبديه السيدُ .

تبَخترًا :

أنتُ الفلَّكُ الخليُّ

والربانُ والبوصلة .
همي أنْ تُقلِّعا ،
وانْ شئتُما فحُنا على حوت ،
وانْ شئتُما فشوَّها الصقلبَ
وابصُّقا في وجه أبيه ،
وانْ شئتُما فحطَّا على أراس .

قدماي ، أقليعا
وانا سأنظنط .

الموعظة على الجبل

أنا أيضاً اتبعتُهُ ،
غَدَيْتُ قُوَّتَهُ بضعفِي ،
وأَعْنَتُهُ عَلَى تَحْقِيقِ ذَاتِهِ .

على النَّالَةِ الشَّعَاءِ
التي انتظرها طويلاً ذراعانِ متراخيانِ
لبحيرتينا النعسة
(كدمعةٍ يتشوق إليها الخلدُ
وتتقربُ بِعَيْنَيْنِ) ،

أكلتُ مع الآكلين ،
ورأيتهم يُهللون له ، وقد شعوا ،
ويتدحرجون في أثره .
وحدي لبثتُ على التلّة ،
وراقبتُهُ يستمعُ لغيابه تعلنُ الولاة بصمت
ومختاروه من حوله يُقوّقون .
وحدي لبثتُ ، أنتظرُ عودته .

عرفتُ أنهُ سيعود :
فالأرغفةُ الباردة وقطعُ السمك
(ولو انَّ يدي أمّ لفتّتها
ولو انَّها بركة أمّ تملّحتُ)
تركّني أتضوّرُ جوعاً .

والمياه التي انقلبتُ خموراً

عادتُ مياهاً على شفقي .

والوحدُ الذي تقسى من الوحدِ عيني برتماوسَ

جعلَ عينيَّ تسأمانٍ ما كانتا تتنزّهان به .

والنداءُ الذي أعادَ فتى نايبين للحياة

تركَ أمي في سواد .

على تلةِ الخصبِ

وسطَ السنابلِ تتعالى كشموعِ

وتتلونُ حدودُها إذ يغمزُها

بعيونٍ متعبةٍ

سلكٌ لا ينام ،

تضوّرتُ جوعاً .

أنا جُرِّبتُ أيضاً :

في غيرِ برِّيَّةٍ جُرِّبتُ .

وعاد .

مِنَ الْمِيَاهِ تَتَّبِعُ آلِهَةَ الْحَبِّ .

عاد ، وفتح فاه

(وَقَالَ قَوْمٌ أَنَّهُ تُغْنِي

وَقَالَ قَوْمٌ أَنَّهَا صَلَاةٌ) ؛

هَلْ سَمِعَهُ سِوَايَ ؟ ظَنَنْتُ

أَنَّهُ كَانَ يُسِرُّ لِي .

لَمْ يَنَادِنِي ، وَخَرَجْتُ ؛

وَلَمْ يَكْسِرْ أَرْغِفَةً وَلَمْ يَلْمَسْ دَنَانًا ،

وَامْتَلَأَتْ السَّلَالُ مِنْ جَدِيدٍ

وَرَأَيْتُ الْمَعَازِمَ الَّذِينَ اضَاعُوا الْوَعْيَ بُوْعِي يَتَلَمَّظُونَ ؛

وَلَمْ يَبْصُقْ عَلَى الْأَرْضِ الْمُتَجَدِّدَةَ ،

واذا سبعةُ المجدلِ سبعون ؛
اذْ فَتَحَ فَاهُ .

على التَّلَّةِ أَضْطَجِعُ .
وَحِينَ تُعْرَجُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ
فَتَزِيدُ حَرَارَتَهَا
وَلَا تَزِيدُ الضِّيَاءَ ،
أُهْبُ لِلْمَلَاقَاةِ الْمَوْجَةِ
الَّتِي تَجِيئُنِي بِغَيْرِ مَجْدَافٍ .
فِي مَوْطِنِي ، إِلَى مَوْطِنِي أَحْبَبَ .

وَأَعْرَفُ أَنَّهُ سَيَعُودُ .

وَأنتظرُ عودته

(مقبرتنا الآن على التلة).

اليها سيعود، مخلِّقاً الجموع،

ليبحثَ عن مسندِ رأس.

وقدُ يفتحُ فاه

وقدُ أسمعُ « طوبى - » .

ثُمَّ ماذا ؟
يقلبُ الملهةَ مأساةً
يمحو عن المأساةِ الجلال
مردادٌ خفيت .
يُدبِّغِي :
ثُمَّ ماذا ؟

دُنَايَ الفِراغِ ،
أوكارٌ حبالِي

ثم ماذا ؟

إن يعتكف يوماً

وتتلي وجناتُ الدُّنْيَا

يسلُّ اللونَ منها

فزعُ يومضُ

ورعدُ يقح :

ثم ماذا ؟

مصيفي الفراغُ ،

مشتاي الفزع ؛

وعيشي قطارَ بينهما

صغيره

ثم ماذا ؟

مع قهوة الصباح

ثم ماذا؟

وطوال ساعات العمل

ثم ماذا؟

وقبالة الأوراق

وبين طيات الفراش

ثم ماذا؟

وكأهنا هناك

ثم ماذا؟

يقضُّ اليومَ

ثم ماذا؟

ولا يُبقي منه شيئاً لغدٍ»

وَيَحْتَوِ عَلَى أَطْلَالِ أَمْسٍ

كَانَتْ دِيَاراً وَبُستاناً

لولا

ثم ماذا؟

وفي

ثم ماذا؟

مَعْمَسَتْ أَيْامِي .

سنواتٍ بعُمرِ فتيةٍ
كان عليّ أن أجوبَ الديارَ الموحشة
وأسكبَ في النهرِ دموعي .
سنواتٍ أثمرَ الأترابُ فيها
أسامي وعوائل ،
وظللتُ بذوري تُعارِكُ العتمة .
وتردّدنَ على نوادي المجتمع ،
وهزّ لي الأطباءُ رؤوسهم
ومدّوا الأيادي بعدَ طولِ علاج .

نزفتُ حياتي ، وماءَ الحياة ،

وانتظرتُ

هانفاً يَهَبُ البذرةَ دفئاً ونورا

وَيُعْتِقُ المنفيَّ من تيهه .

ولمَّ أجْدُ بدمي في جهادٍ

ولمَّ أتبرَّعْ به لصليب

ولمَّ أقدمه لوليتنا القمر

أقايضها به أملاً وثقةً وصحةً تتجدد .

نزفتُ حياتي ، وماءَ الحياة ،

وتابعتُ ترحالَ المساء .

وقال الهاتفُ : « طوبى
لنفي يهتف المواطنون باسمه بطلا ،
ولصحراء تؤولُ الى أرض موعد ،
ولدموع تنقلب ينبوعا ،
ولبزرة مأوى الطيور ،
وصومعة مأوى شريدي الديار ؛
طوبى لعينين مقعرتين تتحدبان ،
ومهمهم يرتقي المئذنة ،
ولعليلة تستنزفُ القوة من اله . »

وصرختُ : « متى

لكن متى ؟ »

وقال : « يوم يتلونُ الأفق

وتخضرُ الرُّبى ؛

يومَ تَمَيِّزِنَ المَنارَةَ مِن انوارِ القباب ؛

يومَ تَلحِقِنَ بالجمهور

ولا تَخْتَفِنَ فيه ،

ولا تَوَخَّرَنَّكَ دَفِشَاتُ

أَوْ يَصَدَّ نَكَ تَقْرِيعِ المَقْرَبِينَ ؛

يومَ تَلْمَسِينَ ،

وإنْ تَسأَلَ : مَنْ ؟ ، قَلتِ : أَنَا . »

غداً لمنُ وجدْتُني مارداً في قممِ
 ترفسهُ الأمواجُ تارةً
 وتارةً تعالجُهُ الأسماكُ اليقظةُ فتعيا،
 هلْ أُنذبُ العالمُ الذي أضعتْ؟
 هلْ أَسْتَمُ القدرَ الذي اختصرَ الماردَ وشوّهه؟
 هلْ أكَسِرُ القممَ وأنفليتْ؟
 أمْ أقبِعُ فيه راضياً، كما يقصُرُ؟

هلْ أَسْتغِيثُ بسليمانَ مُسْتَسْمِحاً،

أو أنادي : « الهي ، ابعث الصياد » ؟
أو لن يقول الهي : « ولماذا تريد الانفلات ؟ »

وبماذا أجيبُ الهي ؟

أقولُ له : « أعلنني السأم » ؟
وفي أرضِ الناسِ كان السأمُ
مُرضعتي ، ورفيقَ دراستي ، وعشيرَ الصبا ،
وليلةَ زفاني سبقي إلى الفراش .
أقولُ له « حننتُ إلى الجماعة » ؟
إلى جماعة طوّقتني بذراعها فعضضته ،
ووهبتني ما سألتُ فأنكرتها ثلاثاً ،

واحتضنتني فلم أكن منها وكتُ فيها.
أ أقولُ له : « أريد أن أنشر رسالتي » ؟
على من أريد أن أنشر رسالتي ،
وهميَ كان أن لا أفعلَ بل أفوه
وأن لا أفوه بل أتمتيم ،
ولماذا لا أتمتيمُ في قلمي ؟

وبماذا أجيبُ الهى ؟

غداً إن وجدُتني مارداً في قلمي
فلن أركلَ لحدى
ولن أميلَ عليه مغتبطاً بخدي :

بَدَلْتُ مَنْزِلِي وَلَمْ أَبَدِّلْ بِلَدِّي .
وَسَأَقِيعَ فِيهِ ، سِنًّا أَبْكُمْ ،
تَرْفُسِنِي الْأَمْوَاجُ فَلَا أَهْتَرُ ،
وَتُدَغِدِغُنِي الْأَسْمَاكُ فَلَا أَلْتَفِتُ .
وَأُظَلُّ فِيهِ ، مَحْرُومًا حَتَّى مِنَ الذَّوَى ،
إِلَى أَنْ تَفُوصَ الشَّبَكَةُ
وَيَفْرَحَ الصِّيَادُ ثُمَّ يَرْتَجِفُ —

وهل أقول له: «انتقِ العرش الذي تحب»؟

أم أقول: «اخترِ الميِّتَةَ التي تشاء»؟

سَمَنْتَنِي فَتَهَلَّتْ ،
 وَجَزَرْتَنِي فَتَلَوَيْتُ
 أَزْغَرِدُ الْآهَاتِ ، كَذَلِيلِ
 تَحْتِ سَيَاطِ ذَاتِ الْفَرَاءِ .

وَتَحَسَّسْتُ يُدِيكَ
 أَبُو سُهَيْبَا ،
 سَلِمْتُ يَدَاكَ يَا مُعَرِّقِي :
 تُقَدِّمُنِي لِمُعْتَرِّ وَوَافِدِ ،

فتفوز بهم وعلى اليقاع غير نار ،

وتشتري بي

(و كنتُ بخساً)

نفيس الثناء .

سلمت يدالك يا معرقي ،

لحمتُ اذ بوستهما

أثر المسامير زال .

سپکلوچیا رجعتہ

لعمري ما رأيتُ يداً تقطفُ قرنفةً
الآ ورأيتُ دمةً تحتَها انتصفتُ ،
واندلمتُ على ستارِ
أمامَ عيني وخلفَها
مشاهدُ السبي في الماضي الزري ،
واختطافِ العذارى ،
وصفوفِ الأطفالِ في ما يسمونه بساتين .

أنا أعرفُ أنَّ القرنفلَ للقطفِ

وَأَنَّ أَيَّامَهُ فِي الرُّوضِ
كَأَيَّامِهِ أَنْتَى يَكُونُ ؛
وَأَنَّ لِلْقَرْنَفَلَةِ الْبَيْضَاءِ رِسَالَةٌ
لَا يَسْمَعُهَا غَيْرُ بَسْتَانِيٍّ أَصَمَّ
إِلَى أَنْ تُنْحَزَّ
وَتَلْتَقِيَ الْوَرْدَ وَالزَّنْبَقَ
وَأَحْرَ الْقَرْنَفَلِ وَمَرْشَوْشَهُ ؛

أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ مَصِيرَهَا آنَذَاكَ
لَا تَرِبَةُ مَأْوِيَةٍ
بَلْ لِمَاءِ سَامِقٍ رَشِيقٍ ؛
وَأَنَّهَا لَنْ تَرْتَمِي تَحْتَ وَرْقٍ أَخْضَرَ مَوْحَلٍ
بَلْ عَلَى طَاوِلَةٍ فِي مَقْصُورَةٍ ؛

وأعرف أنّها قد تنقلُ من يد الحبّ ليد الحبيب،
وقد تنتصبُ لترى ذاتها ترسم على لوحة،
وقد تُرشُّ والامسى فوق ضريح؛

أعرفُ؛

وأعرفُ أنّ الحضارة حضارةٌ مجتمعٍ لاقبيلة؛
وأنّ السيكلوجيا تبني النواطح على ذلك الاس؛

الكنّا أعرفُ

أني كنتُ صغيراً

(وأدركُ أنني صغير)؛

أعرفُ أنّ آهاتي اليومَ ورغباتي

صدي آهاتِ أمسٍ وترجيعُ الرغباتِ ؛
وأذكر الرسالةَ والائناءَ

والحبَّ واللوحةَ والضريحَ ؛
لكنما أذكرُ

الصباحَ زنجياً يسوقني بسوطٍ غليظٍ
وقبيلَ المساءِ ذراعينِ وصدرا
وأصابعها تعبتُ بشعري
وقمها يقرنُ الغناءَ بالصلاة .

نشيد وطني

أحقاً عرفتِ صِباً

وحقاً أثارَ الفتنةَ

اصطخابُ رديكِ في الشبابِ ؟

أحقاً ترأستِ المنتدى

وكرستِ أعدادَها لفسائينيكِ

مجالاتُ الموضِ ؟

لا أصدّق ؛

أحقاً قلبتِ زوجكِ زعيماً وهدى

وبنى لكِ زوُجكِ معلقاتِ ،

يا بلادي ؟

أحقاً غناكِ باجلالِ
مَنْ كانَ بِمِجْرَقَةِ غناكِ ،
وَحَقّاً حَدوتِ الخِيلِ
وَساقِها بنوكِ لبعيدِ المِراعِي
وما فَتَحَتْ فَاها لِقَضْمِ
وَفَتَحَتْهُ لَصَهيلِ كَتْرِئِمِ ماذَن ؟
لا أَصَدِّقُ
لا أَصَدِّقُ يا بِلادِي .

لا لِأَنَّكَ شِخْتِ :
فَفي اغْبِرابِ الذَّوائِبِ وَقارِ
وَلِلتَّجاعِيدِ فَعَلَّ قَصَرَ عَنهُ العُضُوضِ .
ولا لِأَنَّكَ انزَوَيْتِ :

لو أنك إذ تنحت الأضواءُ عنكِ
احتضنتِ المعاهدَ
أو افتتحتِ الميائِمَ أو جمعتِ التبرّعاتِ .
لا يا بلادي :
وكتُ إذا لأهواكِ
وأغني جملاً يتدرّجُ وما يزول ،
وكتُ إذا أزوركِ
وأحرمُ إذ أزور .

لكنكِ تكلّمتِ مع المشيبِ بالمهوان
ونفضتِ عنكِ ذكرى زوجك والشباب
كأنّهما غبارٌ على جسمكِ المغفر ؛
لكنكِ أخصيتِ بنيكِ

ورأيتهم طأطأوا الرأسَ لذكرالك ؛
وتمرغت مع هذا وذاك من منحرفي الميول
(وكيف أصدق ما يقال عن ماضيك)

يا بلادي

أنا الذي رأيت بيتك وأضواءه الخافتة؟

ولما أشاح عنك العاشقون

قودت لبناتك

يا بلادي

يا بلادي .

هذا الشبحُ الذي يُلازمني
وعرفتهُ منذُ عرفتُ الحياة ،
أما من وطنٍ يناديه في السُّبات
فيمُجرني إليه ؟
أما من زعيقِ بوقٍ فيُلبِّي الزعيق ؟
أما من معبدٍ فيلبس المسوح ؟
أما من ارتعاش قَدِّ
فيتلوى ، في خلوةٍ ، ساعةً في المساء ؟

مزقتُ جواز السفر
لما رأيتُ رسمه فيه معي ،
بدلتُ اسمي لما اتحلته ،
أنكرتُ وطني يوم أتممتُ معي لحزبٍ فيه .
هربتُ ، اختفيتُ ،
التجأتُ لكهفٍ نهاراً
وتسللتُ ليلاً للقفار ،
أرختُ لحيتي ،
ضربتُ في وجهي الوشم ؛
وفي بلدٍ غريب
تمددتُ مرتاحاً وابتسمت .
وانتصبَ في وجهي وقهقهه .
معي حين أراه ،
وحين لا أراه

كحُرْدَبَّةٍ مَعِي .

الى أين ؟

الى أين ، أَيُّهَا الظلُّ

الذي رأيتُهُ حَتَّى فِي الظهيرة ؟

الى أين ، أَيُّهَا الشبْحُ المُلَازِمِي ،

الذي رأيتُهُ يَمْتَظِرُنِي بِهَدْوٍ

بَيْن طَيَّاتِ المِيَاهِ

حِينَ التَّجَاتُ بِجَنُونٍ

الى الصخرةِ المَثقُوبَةِ ؟

فاوستس ١٩٥٤

أسرعى ، أسرعى يا خيول الظلام .

قرعتُ بابَ الجحيم ،
تسلّقتُ تلَّ المُلْهيات ،
همستُ للجنِّ في داخلي ،
وسرتُ بعد الغروب في الخلاء ؛
وما اهتزَّ قلم .

ناديتُ : أفا يَضُّها بالنجاح
بالجاهِ بالصحةِ حتَّى بالهناء ؛

وما طنطن مسمعي .

عرضت نفسي ، فلم يكتظ سوق

ولم يشرها حتى مفيستو

(قال : « بالوحدة ») .

ولما يئست ،

صرخت : « رضيت ؛ رضيت ؛ مفيستو » .

ست سنين .

وفتحت عيني كل صباح

على الصك بدمي

ولفلفتني في العشايا .

وساقني مفيستو إلى الخواضر

حيث الملايين أركان أقفاص ؛

وحملني الى فُلكك يعرج :
كلّ يقصُّ عن كلِّ أوديسي
وبحجرٍ بين كلِّ وكلِّ .
تمنيتُ البراري
وجزيرةً خلية .

وأمرَكِ بي
(بطيناً بطيناً خيولَ الظلام) .
وخلتُ التجاعيدَ هجرتُ وجهي
وأبوابَ بلدي فُتحتْ لي .
في المنعطف ، وقد تشابكتُ يدانا ،
حين قرّبتِ وجْهك
رأيتُهُ خلفك

يوميءُ بالصَّكِّ لي .

وفي المساءِ قهقهه : « ماذا نظمتَ ؟ »

- إذ قرَّبتِ وجهك لابنِ عمِّي .

ساعةٌ لا تدقُّ .

عربةٌ نارٍ لا تخبئُ .

قلمٌ يُفسدُ على الأرضِ ولا يُخصِبُ أوراقا .

وصكٌّ بدمي .

أسرعي ، أسرعي يا خيولَ الظلامِ .

كر بلانس كمشال للبطل

عندما تخطى البوابة

سمعت أذناه ولم نصغيا ،

خفتت فيهما الصرخات المتعالية .

قطعوا حبل النجاة ،

رأى القيد انقطع .

« لِيُنْفَ ! »

عندما تخطى البوابة

سمع « ارْحَمْنَا ! »

« لِيُنْفَ ! »

خارج البوابة الحديدية

في أرضِ العدا
إنتصبَ في الفُورمِ
استعرضَ السبايا
وانطلقتُ تخرقُ القهقهات:
« نَفَيْتُكُمْ ، بني وطني ! »

عندما تخطى البوابةَ
أو تضالَ المرفأَ
عندما التمعَ لهيبُ سيفِ
أو بُشِّرَ أبُ
عندما تذرذرتِ الأوراقُ
أو تقلبَ جامداً
في شتيتِ من الديار .

في الطريق الى دمشق

أرى ، وراثي الكفيفُ لحالي .

تتعمقُ وتُبحلقُ . ماذا ترى ؟

هنواتٍ من لا شيء ،

وكوناً مليئاً بالفراغ .

هلمّ أزيحُ القشورَ عن عينيك ،

وأريكَ مباحجَ الحياة .

أجوبُ المَلاهِي ضَحِيَّ
وأرتادُ المصايفَ في الشتاء .

أُنبِصِرُ؟ نكلتُمُ ، أجبُ .
جفتاكِ يرُمشانِ ، ولسانكِ عَيَّ .

ثوباً مزر كسأ ، أجزاء ثوب ،
ينضمُّ ، ولا يسُترُ ،
وينشَقُّ -

إضاً .. غَطُّ .. على الطين .

أيضاً ؟

أيضاً : أنا سمعُ وشمُّ ؛

لَمَنْ رَمْتَنِي الرَّعْشَةَ مَا دَرَيْتَ :
لَهْمَسٍ بَعِيدٍ أَمْ لَطِيبٍ زُعَافٍ .

بَدَلْتُ لَكَ الطَّيْنَ ،

تَمَتَّعَ بِالْجَمَالِ .

أَيْنَ أَقْلَمْتَ بِي ؟

غَيْرُ هَذَا الثُّوبِ كَانَ ،

وغيرُ ذَا الهمسِ (أَسْمَاءُ... كِتَابُهَا) وَالطُّيُوبِ .

تَمَتَّعَ -

بَلَى ، وَلَا تَقْلُ : بِالْجَمَالِ .

« حَبِيبِي ، حَلَمْتَ بِي ؟ »

وقلتَ بحسني الدرر؟
أقترب منّي ، التصيقُ ،
ودعها بلصي وراهبة .
عش ، حبيبي ، تمتع -
بالجمال ؟ ...

« بالجمال . شقّ ثوبي ، كيف تراه ؟ »
كشدوك ..

« وطيبني . عينك آه ، تخرقان - »

تجرك عصاك ؟

أين بعد ؟

حيث تحت الثوب جسد ،
هو يبعثُ الشدو ، وعنه الطيوب .

كان ، وقد ذقت به .

جسد لانسان ،

يوشي ، ويسكن مقلي

طيناً لا يجف .

الطين فيض . أذن متني .

.. والآن ، ألا ترى ؟

أرى .

أرى هالة ، وراحتين من نور .

لك الطين :

لي راحتاه -

ستلمسان ، وسأبصر .

الى طرسوس؟ وتهجر القدس؟

الى دمشق، ايّاما.

الى مدام افرودايشه

لَا تَنْكَ الصَّقْوَعَةُ

ارْتَمَيْتِ

أَنْشَدُ الدَّفءَ فَيْكَ .

ذِرَاعُكَ يَدْعُو

يَمِينُكَ تَرَاوَعُ الْعَيْنِ

تَدَاعَبُ الْجَاجِمِ .

لَأَنِّي أَرَدْتُكَ

هَرَعْتُ لِّلسَّرِيرِ ،

لَمْ الْمَحِ الْجَاجِمِ
تَرْحَبُ رَطْمًا بِالْقَرِينِ .

غَنَائِي يُهَفِّفُ الرِّخَامِ
يَتَمَوَّلُ الشَّفَتَيْنِ .
غَنَائِي يُلَوِّنُ الرِّخَامِ
يُرَقِّصُ الْجَاجِمِ
يُقَوِّي النِّدَاءِ .

ذُرَاعُكَ يَدْعُو ،
سَكُونُكَ هِيَاجُ .
عِنَاقُكَ دَفٌّ وَقَشْعِرِيَّةُ ،

عناقك حمى .

يُلمعُ لعانكِ غنائي

ويُعرِّيني .

صممتي قصور ،

غفلةٌ تجلببني

وتتدحرجُ على المرمر .

كصممتي غنائي انتحار .

على شطّ قبرص

بين يساريك

اتّحدَ بالأرضِ الاوليمب .

يَوْمَهَا الْفَنَانُ بَعْلٌ

وَذُو السِّيفِ خَلِيلٌ ؛

يَوْمَهَا الْحَبُّ وَالْمَوْتُ فِي عِدَا ،

وَالْحَبُّ مُتَنِّسِمٌ ، غَيْرُ خَصِيٍّ .

زَبَدًا بَعْدُ كُنْتُ ،

بِقَايَا اللَّهِ فَقِيدٌ ؛

لَمْ تُحَجِّرْكَ يَدَانِ ،

لَمْ يُقْصِكَ لَوْفٌ ،

لَمْ يُبْخَفِ بِنَاكِ زَمَانِ .

كُنْتُ بَعْدَ حَيَاةٍ وَفِيضِ حَيَاةٍ -

يَوْمَهَا لَوْ عَرَفْتُكَ -

أَكُنْتُ أَرْتَمَيْتُ ؟

لأنَّكَ رَخَامٌ

تَحَرَّقَتْ عُرُوقِي ،

لأنَّكَ فِي الْأَسْرِ

لأنَّ الْوَفَرَ قَرِيبٌ

لأنَّ رَدِّي بَيْنَ يَمِينِكَ وَالْعِيَانِ .

صفاءُ ساعة ، وهياجُ ساعة ،

في مقلتيك .

مياهٌ وديعة يسري فوقها ساري ،

وأمواجٌ مُرسسة لا يُروّضها غيرُ إله .

فتى أجيءُ البحيرةَ ، أتعرى واستحمت ،

أدا عبُّ زرقَتِكَ وزرقةُ في السماء تظللاني؟

متى أجيءُ :

وفي الهياج ساعداي ساعدا وليد ،

وفي الصفاء أتبيّنُ في البحيرةَ

أشلاءَ وأشلاءَ لمن أغرتهُ بالاستحمامِ عينك ؟

كالبرقة في منتصف ليل شتوي
ومَضَّتْ ،
كالبرقة لماعاناً وخطفا ،
لا رائدة غيث ولا بشرى ربيع .
لمعت ، ولمع الأفق ،
واختفيت أبداً ، وكان ما كان ما كان .
فضل للليل اسودادهُ والأفق حدهُ
وصمت في الكون رهيب
لم يُبْلِشِه قصفُ رعدٍ
بل زادهُ وزادها حلمٌ مرٌّ وزال .

لمحُك

والقلبُ هاديٌ، والفكرُ وسانٌ،

وابتسمت .

حرّكتِ هذا وأيقظتِ ذلك ،

واختفيتِ .

ما كانَ أحلامي بعيداً عن الكونِ وعنك ،

وما أحلامي دوماً ، وما أحلامي .

عرفتُكِ وهلْ عرفتُكِ

تباشيرَ صباح ،

وإذا أنا غيرُ ما عهدتُني :

أذكرُ أمساً طويته

وأبني على حاضرٍ ملون

غداً ما وعاهُ خيال .

عرفتُك

فعرفتني على ما جهلتُ عنِّي

ونبشت لي ما أخفيتُ فيَّ ،

وهربت .

عرفتُك

وأنا إناءٌ من الزهرِ خلو ،

فكنتِ الزهرَ : لكن ما كان أسرع ما فني ،

وأنا ديوانٌ ليس فيه شعر ،

فكنتِ الشعرَ : لكن ما كان أقصر غمرته ،

وأنا هيكلٌ غاب عنه القدس ،

فكنتِ القدس :

قدماً واشتهيبتك .

وغبتَ وغبتَ ،

واستكان القلبُ ، من غير هدوءٍ

وارتمى الفكرُ ، من غيرِ سِنَّةٍ ،

ولكنْ أحقاً أنيتَ ؟

وحقاً كنتَ ؟

وكنتُ ؟

كطولِ القصيدِ عمرُكُ ،
يا خمرَةً حَلَّتْ وَلَمَّا تَعَتَّق .

بالأمس كنتِ سماءَ صافية ،
وإذا بكِ ، في غفلةٍ رحيم ،
غيرُ ما أنتِ ،
وإذا في كلِّ بقعةٍ من السماء
نجومٌ ونجوم
وتباشيرُ قهبرٍ تلوح .

هذي النجومُ البواكر
منها تُحكُّ البراءة ؛
إنْ وشوشتها ضحى أخواتِ عوانس ،
جهتْ ، خجلاتِ ، ما يُشاع .

كُثِّكِ اليومَ انطلاق :
قهرتِ كانونَ ، وماقنعتِ نيسانَ هذا
(تبارك ، تبارك نيسانُ هذا)
وكأنَّك تبغين قطفَ حزرانٍ اقتطافا .

أنا ، يا صغيرة ، أخشاك

وأخشى غداً

شدوك فيه حرام على أذني المهرمتين ،

وأنعان نجومك يصبق في عيني نوراً خبا .

كطول القصيد عمرك ،

وكطول اذكاره اذكارك .

وحدِي اجْتَنَيْتُ مِنْ الشُّوكِ تَيْفَانًا ،
 وَخَمْرًا مِنْ الحَسَكِ اعْتَصَرْتِ .

بِصَارِمٍ تُنَدِّيهِ السَّوْمُ طَعْنَتِي ،
 فَتَقَاطَرَتْ هَنَوَاتٌ مِنْ النُّزْرِ دَمِي :
 هَلْ تَذَكَّرِينَ البَلْبَلَ الدَّامِي
 وَمَوْلِدَ الحَمْرِ النُّرُودِ ؟

سلوتني ، وأحببتك :

نافلة لي محسب ؛

أي أجر كان لي

لو عشقت وعشقت ؟

حرمتني حبك واللقيا الهني ، ؛

هل حرمتني حباً ولقيا

في غيبوبة وفي رؤيا

وفي نقات شعرٍ كأنفاس إله ؟

عرفت الحب ، وما عرفته ،

وثالوثه القدس :

وفاءً وحرماناً وإيحاء ،
إن لم يكن لها فما يكون ؟

أذقتني الحرمان المرير ، وأوحيت لي ،
وتسألين عن دليل للوفاء :
هيا أقطفي التين الذي اجتنيت
وبالخر التي اعتصرت أتملي ،

لا تبقي لي غير الشقا ،
واسعدي ، فأسعد .

فَطَيِّبِي جِبِينَكَ ، وَلَا تَسْمِي :
 فَلَانَ يُزْهَقُ الزَّهْرَةَ مَحْرَاثٌ يَجْتَثُ
 خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُزْهَقَهَا أَنْامِلُ قَطَافَةٍ .

أبْسَمَةُ هَذِهِ ؟

كَانَتْ بِسْمَاتِكَ بِعَثَ هِنَاءٍ ،
 حَتَّى ابْتَسَمْتَ بِالْأَمْسِ ؛
 فَإِذَا الشَّمْسُ ، وَهَابَةُ الدَّفْعِ ، تَضْحِي فَاتِكَةَ
 وَإِذَا الْفَرَسُ يُرْتَمِي صَرِيحاً تَحْتَ وَهَجِهَا

وكانت عرق حياته .

حتى اقبسمت بالأمس

له .

لا تترك لي
والتفتت
التي تستأجر
التي تستأجر
التي تستأجر

أيُّ جانٍ فيكِ
(وفي البدر كلف) ؟
هيكَلٌ من ضبابٍ ، بلا كساء ؛
وعينانٍ من غير نور :
عينا زجاجٍ هما ،
أم يتيمةٌ كعَيْنِ الصَّقْلِ ؟

كاملُ الحاساتِ ، ولا يحس ؛
سواءٌ في سمعهِ أغرودةٌ وبِحَّةٌ ،

وفي التيه لحدُ الصلاةِ والشّيمة .

حرامٌ على فيه أن ينبس

وعلى شفّته أن تأنسا بيسمة

أو جبينه أن يُقَطَّب .

عواتيُ الرياح لا تهزّه ،

وعبثُ النسيم لا يستثيره :

ليس للجنّ شقّ .

لا يمسُّ ولا يشمّ ،

وهنّ يذقّ فأكله في .

محمومٌ ، أبدأ في فتور ؛

إن تارجح فإلى حمى ، تنفث الوبأ

ولا يموت ،

أوالى برداء ، تثلُّ

ويبقى في نشاط .

في نشاط ؟ وروعة في هدونه

وصخبه في سكونه ، وبطشه في يد لا تسدُّ سهماً

وفي جفنين مطبقين منها شرر يتطاير .

أويته أمداً ،

أخبث ضيف على أحلى مضيف :

أفتركينه يُضحى ربّ منزل ؟

من الكلف في البدر سريع الزوال ،

والأ فالحاق عمّا قريب وريث ؛

وبحة البلبل بنت ساعة ،

فان عمّرت غدا والغراب صنوين .

أفما آنَ بعدُ أنْ تهجره ؟

عبثَ قتالهُ ،

حتَّى السيفُ ، في ضربه ، أبتَرُ ؛

بمأمنٍ لئلا يعيش .

واحدُ السهمِ الذي يُرديه :

صنوا له من الصدودِ أوويه .

ذا حنْفُهُ ، كعبُ أخيل

لهُ ولي :

أفقا عيني كي لا أشهدَ قبيحا ؟

أعايشُ مثله لِأبعِدَ عني ذكراه ؟

وإنْ فعلتُ وظنرتُ

أيعرِفُ من الغالبِ والمغلوبِ من ؟

فزع

طفلانِ ، أنتِ وأنا :
نبكي ، نطلبُ دميةً ،
فانْ تبيءْ مزرَكةً لنا ،
رميناها ولمْ ناعبْ ،
وعمَّ الصراخُ الدُّني .
طفلانِ
طفلانِ ، أنتِ وأنا .

عرفتِ ما تبغينَ ، وعرفتِ ،

فهويت في المسمى ، وهويت .

وحدقت في عيني ، وحدقت ،

فأسبلتِهما ، وأسبلتُ .

مَيْتَةٌ وَمَيْتٌ .

عطشنا ، فرحنا إلى النبع فوق الجبال ،

ولم نخش أسداً وسطاً أدغال .

... وفي النبع لمحنا خيالكِ وخيالي ؛

فاستدرنا ، وماتت على شفاهي «تعالى» .

على السفح قبضت على يدٍ من حديدٍ ،

وأشحتنا عن تائه وحيد .

يلمس الصدر ، فيلغيه من جليد ،
والمس صدري ، فالغيه من جليد ؛

ولم أَرِدْ ، ولم تُرِيدِي .

إلى أن انزاح الستار الأخير
كان في حبنا نقص
خفي أليم .

كتاباً كنت لك ، وكنت لي كتاباً ،
وعلى الرف ألف سفر ؛
وأختاً كنت لي ، وكنت لك أختاً ،
وكل من في الكون إخوان .
فان غبت وإن غبت

انتفض الحب ولم يعتكف .

ولم ندر (ألم ندر ؟)

أن كان في حبنا نقص

خفي أليم .

ظنننا حبنا الكمال

(ظنننا أم تعامينا ؟)

فقدنا عندنا ، سقامي ،

ولم نلتفت الى حوض قريب

تمسحي الأسقام فيه

ويبلغ الحب بعده الكمال ،

حتى تراهى لنا الستار المقيت .

بلا أرجل سعينا ،

بطيئاً بطيئاً زَحَفْنَا؛

هل خَشِينَا المِيَاهَ؟

مِن مِيَاهِ البَعثِ ارتعَبْنَا .

(رَائِدِينَ كِنَاءً، أَمْ كِنَاءَ نَزْوَرٍ أَوْ طَانَا؟)

وَفِي الحَوْضِ ارْتَمَيْنَا ،

لِارْتَمِينَا حَتَّى ارْتَوَيْنَا

عِنْدَمَا انزاحَ السِتَارُ الأَخِيرُ .

خدعتني ، فلم أبال :
لأنك انتقيت
يومَ بحثٍ عن حبيبٍ
صديقي .

أحببته ، وقبلك أحببته ،
فتلاقى حبي وحُبك ؛
ويكفيني .

كان يكفيني

لو أنك لم تهدي
أن تخنقي صداقتي له
بحبك .

أن تخنقي الصداقة
وتصرعي الحب :
أن تذبجي الفتى
على مرأى أبيه ،
وبعداً تذبجيه .

لم أبال :
لأن حبك كان سيخبو
اليوم أو غدا ،
فخبأ اليوم

واسترحت .

طعفتني ، فلم أقض ،
والنفث ، فاذا أنت التي تلحدين .
وعلى رمسك خططت :
« فلتمت حبيبي ، وليعش صديقي » .

كذا يمتحي الشوقُ في أوجهِه ،
وتنهارُ في ملثها آباد ؟
كذا تحمدُ الجذوةُ حمراءَ ،
ويُعتَصِرُ الهناءُ في لذعةٍ وحيد ؟

سعيرٌ فيَّ كان يتأجج ،
وأموه تعجُّ ، وبركانٌ يثور -
ما كان فيك :
فأخذتِ اللهبَ ، وما اختمدتِ ،

وتقبَّلتِ اللحم، وشيءٌ فيكَ لمْ يندثر،
واحتضنتِ السيول،
وكأنكِ نديمٌ يُعَبُّ من كَفِّ ساقِي؟

وهبتكِ أغلى كنوزي،
فاحتقرتِها بصمتٍ موجعٍ؛
ولحشها شاحبةٌ عليكِ،
فاحتقرتِها أنا، واحتقرتُني.
كَبُرْتُ، وذلتُ،
وتضاحكتُ في الجدارِ المرأيا.

جشكِ أحيجٌ، فأعدتِني

شوقي نفورٌ ولإيماني هباء

(في المعبدِ القدسُ أم في العابدِ ؟)

وفي الباب التقيت -

أهو التلقُ الذي خلفت ؟

وعدتُ عليه أتسكي

وعلى رفيتي الجديدِ ، الندم .

كذا يكونُ الرحيل :

مطهرًا أمانِيَّ وارتياب

فرعشة نعيم

تمحي في جحيم سرمدِي ؟

عاقرة بين اطفال اخسها

غيومٍ من الصغارِ تكتنِفني ،
وضبابٌ من الجذبِ لي وشاح :
أنْ أتملّ ولا أعصر عنقودا ،
وأنْ أساكنَ النسور ولا أبتني كوخاً لهاثم .

كالعاقرة بين النساء أنا :
مع الشحوب في وجهها سقمٌ وهم ،
وفي الخاطر وشوشات :
أكان لزاماً أن أتزوج

فأعرض للناس قصوري
وأجعل منّي لأتراي أضحوكة؟
ليتني ظلتُ عزباء ،
فلعانس لم تعرف خيبة العقيم .

وتمنّي النفس (واهماً للأمل :
أخذاع هو أم ولي أمين ؟) :
« كرمل البحر ذريرة ساراي
العاقير حتى الشيخوخة . »
وبسمة ، وغصّة ، و :
« أحمد الله ، لست شجرة تُثمرُ علقما
ولا تينة ذوت من لعنة حتى الورق .
من لم أكن أمّاً تلد

فَلَسْتُ بِجَلَادٍ يَحْرُمُ الْأُمَّ وَلِيداً مُخْلِيقاً . »

عاقراً ، ما هم ؟
أما تحنو على الصغار بحب ؟
أي أمٍ أحببت أطفالها
حباً يسوع بلفظ البركة ؟

وعاقراً بعداً ، من قال ؟
أتأهي من الحور الحسنان
حلم المؤمن ؟
فان لم تلد ، فلا لعقم
بل منحة من الأرباب :

أن تنعم بالذرة
الخصبة خصب المشتات
ليلة بعد ليلة بعد ليلة ،
حتى اذا أقبل الفجر
ترامت بين ذراعيه بكرا ،
تعرف من سرائر الخلق ما لا تعرف الأممات .

« رحماك ، زعمي ! »
وقبّلتُ أسفلَ القضبان .
ورماني بضحكةٍ وقال :
« غنّ ، أ كسرِ القضبان . »
وتفحّختُ ، أستجرُّ النديبَ
أستجرُّ الرجاء ؛
وغنّيتُ وغنّيتُ ،
وتراقصَ الصوتُ
ولم توقّعْ له حنجرة ،
وغنّيتُ وطيّبتُ لي .

وانتهى إلى صوت بعيد :

« كفى ! »

قلتُ : « ابتعدُ أيُّها الشيطان » ؛

والحَّ : « جئتُ بالمطرقة » ،

قلتُ : « بلى ، ولكنْ

لستُ أرى القضبان » .

القصيدة

ما الذي يُضيء لي الزقاقَ الأسمَرَ
ويوجِّهُ خطايَ متسارعةً
إلى حيث يُسْفِكُ الخصبُ فيضاً
وتبقى البراري براري؟
يقيناً، أيتها الحلوةُ لأنني احتججتُك،
ما قادني إليكِ هوَى لكِ
بل قادني إليكِ هوايَ لي
ولقوةٍ فيَّ ثريةٍ
باتَ يُقلِّبُنِي في العشيِّ
أن أراها أفلتتَ في الصباح،

فأَسْمِعِي إِلَيْكَ -

لتبعمي ، جاهلة ، في اليتيم ،
وتتلو (ولا تُتَمَلِّ لَنَا) الطقوس -

لا لَتُعْطِي بِل لَنَاخِذِي

ولا لَنَاخِذِي بِل لِأَهَب -

وأضحكُ من الحياة وزينتِها .

وأقول : « عفوك ، أيها الرسول ،

تحرَّقتُ ولم أستشف في مصحِّك » ،

وأقول له : « كيف شوكتك ، يا رسول ؟ »

ليلة ارتديتُ بدلةَ المواسمِ ،
وتزيّنتُ وقصصتُ شعري ،
وتعشّيتُ في الكوبا كابانا
مع رفيقتي ، وأصحابي ورفيقاتهم ،
ثمّ تمسّينا على الكورنيش المُعتمِر ،
وقلنا للبحر ازبد وطرّطش ،
وللنجوم هه هه ،
وانشغلتُ عن القَوْلِ الشفاه ،
أخذتُ القلمَ لأكتبَ في حبيبي سويدية ،
وحسّمتُ التّقطُ القوافي ،

ففرّ القلمُ بينَ أصابعي ،
وعلى الأرضِ حيثُ ارتمى
شخطَ في وجهي ، وقال :
« تُغَنِّي ، وأنتَ شعرةُ
وعلى الرأسِ جمّةٌ ؟ »

ويومَ رفعتُ المديرَ استقالي
(لا أرفضُ له طلباً) ،
ولفحتني الشمسُ
ثم احتجبتُ عند الظهيرة ،
وعرّدتُ ، وركلني البارمانُ الأعور ،
وعدتُ أقبضُ في جيبي على قروشي المزيّلة
لثلاث تسلسلٍ من الرتقِ الوسيم ،

لانتشلتُ ورقةً لأنفُثَ عليها السباب
أوزَّعُهُ على جميعِ البحورِ ،
فتطَّيرتِ الورقةُ قبلَ أنْ تصعالي بشعري ،
وقالتُ بلهجةٍ مُبشِّرةٍ مُسِنَّةٍ :
« تُعَنِّي ، وأنتَ شعرةٌ بيضاء
على رأسِ يافعٍ ؟ »

وأعدتُ القلمَ ،
ولفَلَفْتُ في الورقةِ زادي .
وُبُسْتُ حبيبي بدونِ سوننته ،
وشتمتُ البارمانَ والمديرَ من غيرِ نار .
وتلوَّيتُ ، شعرةً وحيدةً ،
ورحتُ اقتصُّ عن رأسِ أصلع

أحط عليه .

أَحِبُّ الْبَحْرُ
مَلْعَبَ حَيْنٍ وَوَيْنَ ،
أَحِبُّ الرَّمْلُ
زَوْجَةَ شَمْسٍ بِتَوْلٍ ؛
وَأَكْرَهُ السَّفِينُ
تَحْمَلُ خَصْبًا وَنُورُ
وَتَحْمَلُ مَقْصَلَاتِ
لِلْعَنْقِ وَالْبَكَارَةِ ،
مَجْدَافِهَا وَالْخَبْبُ
بِعَوْضَةِ حُبْلَى تَضُمُّ .

أحبُّ الجدولُ
أكسَ خطَرَ،
أناجيكِ مِن ضِفِّ
ومِن ضِفِّ مُتَاجينِ،
والحنينُ
حرفُ عطفِ
ترجيئُهُ ناسِخُ :

(وان قرأت القصائد
فهل صاهرَكَ الشاعرُ؟)

أنا ربّ قديم
تقصدُ موحاهُ الأمم؛
فتحتُ الكوةَ أتلتصصُ،
فألقيتني مُقعداً أجشّ .
وكبوتُ .

خدعةٌ لفقّتها ، فصدّقْتها ،
وآمنتُ بها اذ وثقت .
وانزاح الغمام

عن عيون أربع .

تعريبتُ على مرآك ،
فتزاحمتُ سياطُ الغيظِ والهوان .
والرئاء ؟ رحماكِ لا :
أنا أقمتُ التمثالَ
وأنا عليه أهويتُ ؛
فلئن اليومَ هدمتُ
فقدماً نحتُ ما خلتِهِ كالمعجزات .

الى جون مارشل

قلت لي : « هيا معي » .

(خيالاً كنت أم كنت انساناً ؟)

قلتُ : « الآن ، وقد عمّرتِ المائدة

بأطيابِ الملكِ وخمرِ مشروبه ؟ »

قلتَ : « هيا معي » .

وعرفتُ ان في القصر الذي جئت منه موائد

حول كلِّ منها فتیانٌ سمانی ؛

فلحقتُك ، أسيرٌ في داخلي :

« هناك

هناك الأَطْيَابُ والخمور . »

وفي القصر استدرتَ وقلتَ : « جُلْ »
بين كلِّ الموائدِ
واقنتُ بما تشام . «
.. ولم يكنْ على الموائدِ غيرُ قطانيّ وماء .

قُبَيْلَ الصبّاحِ أيقظتُني بِسماتُ
مَنْ لأجلها كنتَ عكّازي
ولأجلها كانَ ترحالي ،
والنفتُ إلى الخائطِ حيثُ كانتُ لوحةُ
لغديرٍ وتلٍّ وشجرتينِ وعاشقينِ وبضعِ عصفيرِ
رسمها طرّاشٌ في نصفِ نهارِ
(قيل لي أنّهُ يرسمُ عشرًا مثلها كلَّ شهر) ،
فاذا لفيفٌ من مرايا

ورف من الكتب ونافذة
تُطيلُ على ما حاول الطراشُ انْ ينسخ.
وقصَّصتْ شعري
وكوتُ ثيابي ،
وعندما برزتُ للناس
غمزتني فمددتُ لهم لساني .

ووجدتُ المسطرةَ التي صحبتُها معي
قد انكسرتُ ،
وأوراقي القدامى التي أثقلتُ جيبِي
زُمَّتْ أبياتها السبعونَ الى ثلاثين
وقالت الثلاثون : « مُسَّ شعرةً انْ اسطَعت . »
وراقصتُ مرصعاتُ الزمخشري

حفاة ضيعة في الجليل .
ونظرتُ الى الغلاف الذي كانت أوراقُ حبيّ فيه ،
فاذا برسم القلب الذي كان عليه
قد أُضيف له رسمُ رأسٍ
وثالثٌ دونهما .

وحملتها الى الناقد ،
فألقاها على الفراش
وقال لها : « تحدّثي » ؛
وخلعَ نظّارتيه ، وجلسَ يستمع .

بعدَ عشرةِ أيامٍ لقيتُك

وصرختُ: « أنظرُ، زالَ مني الهزال ».

وقلتَ: « أمامكَ بعد

مُجبُّ الأسود ».



Elmer Hobbes
Bobst Library

New York
University

وغير تحت أو أظن يزال على الخيال.

وللت: لا أملك مد

تحت الأسرود.



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 01254 1721

PJ7862.A88 T3 1954

Thalathun

PJ
7862
.A88
T3
1954
c.1